في الأدب الدرامي

١١ ـ الرواية المسرحية

في التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

تحليل موجز لأشهر ملاهي موليير

(البخيل L' avare)

موضوعها وصف البخيل، وأهم أشخاصها: أرباجون البخيل أبو كليانت وإيليز وعاشق مريان، وكليانت بن أرباجون وحبيب مريان، وإيليز بنت أرباجون وحبيبة فاليز بن أنسلم، ومريان بنت أنسلم وحبيبة كليانت ومحبوبة أرباجون، وأنسلم أحد الأغنياء وأبو فاليز ومريان، ومترجاك طباخ البخيل وسائقه، وفرسين امرأة محتالة، ولافيش خادم كليانت، وسيمون سمسار: وقد وقعت حوادثها في بيت أرباجون بباريس.

الفصل الأول: (كنز أرباجون ومشروع زواجه) يتذكر فاليز حبيب إيليز، ويقيمه البخيل وكيلاً على بيته، فيطن إلى ابنته غرامه، ويشكو إليها غمّه، فتعده بالزواج. ويدخل كليانت فيفضي إلى أخته بحبه لفتاة فقيرة شريفة تدعى مريان. ويشكو إليها عجزه عن مساعدتها لبخل أبيه، فهو يبحث عن مرابٍ يقترض منه ما يصلح به حالها. ثم يدخل أرباجون البخيل وهو يشاجر خادمه (لافيش) في عنف ويتهمه بالسرقة، فيقرره ويعزره ويبحث في جيبه ومطاوي ثوبه ثم يطرده، وهو لا يتحرج أن يعامل ولديه معاملة العدو، ويتهمهما بالتبذير. وحينما يريد الولدان أن يفاتحاه بمشروع زواجهما يفاجئهما هو بأنه عقد العزم على الزواج من مريان، وأنه فكر في مستقبل ولديه فخطب لكليانت أرملة غنية، ولإيليز أنسلم المثرى، لأنه قبل أن يتزوج منهما من غير مهر تسوقه اليه. ثم هو لا يقبل جدلاً ولا يريد مشورة. ويدخل فاليز فيتخذونه في الموضوع حكماً.

الفصل الثاني: (ربا أرباجون) يريد كليانت أن يقترض خمسة عشر ألف فرنك فيجدها له السمسار سيمون بشروط فادحة وربح خمسة وعشرين في المائة. ويقبض منها كليانت اثني عشر ألف فرنك عيناً، ثم يأخذ بباقيها مجموعة من الأثاث البالي. على أن أغرب ما في المسألة أن السمسار يطلب هذا القرض من أرباجون، فيقف الابن أمام الأب موقفاً غريباً يتبادلان فيه ألفاظ التقريع على بخل أحدهما وتبذير الآخر، فلا يخرج بهما من هذا الموقف الحرج إلا دخول (فرسين) المحتالة تعلن إلى أرباجون أن أم مريان قبلت أن تزوجه من ابنتها، وهي تطلب منه مقداراً من المال يسيراً تستعين به على كسب قضية لها في المحكمة، فيبادر إلى الخروج قائلاً: آه! إن أحد الناس يدعوني...

الفصل الثالث: (إعداد المأدبة) دعا أرباجون أنسلم وابنته مريان إلى العشاء. فهو يوزع العمل على خدمه؛ فيأمر كلود أن تنظف البيت، ويحذرها أن تحك الأثاث بقوة مخافة أن يبلى، ويخصص (براندافوان) (والامرلوش) للشراب، وينهاهما أن يقدماه إلا إلى من به ظمأ شديد، ويوكل إيليز بملاحظة المائدة، ويأمر الطاهي جاك أن يهيىء الطعام بثمن زهيد. ولكن المترجاك يؤدي عمل الطاهي وعمل الحوذي معاً، فهو باعتباره الأول يطلب مالاً كثيراً، فيغضب أرباجون ويرشده إلى صنع المآكل التي تصد النفس وتميت الشهوة، ويرفض باعتباره الثاني أن يشد الخيل إلى العربة، لأن الجوع قد أضناها والتعب قد أنهكها، ويلوم سيده على شحه القبيح فينهال عليه البخيل ضرباً بهراوته.

الفصل الرابع: (سرقة الكنز) يعثر الخادم (لافيش) على كنز سيده البخيل مدفوناً في الحديقة فيأتي به الى كليانت. ويحاول الابن أن يحول بين الأب وبين زواجه من مريان، فيرميها عنده بالخلاعة والجفاء والغباوة؛ ويرتاب الأب في نصيحة ابنه، فيتظاهر بأنه يريد أن يزوجه منها حتى يحمله على الاقرار بحبه إياها؛ فتثور ثائرة البخيل، ويلوح له بالعصا، ويحاول أن يصده عن حبها فيأبى كليانت فيخرجه الأب من ميراثه ويلعنه، ثم يفتقد الكنز فلا يجده، فينسى مشروعاته الجميلة، ويصيح بملء صوته: يا لي من اللص!! يا لي من القاتل! يا لي من السفاك!. ثم يفزع الى القضاء يريد أن يشنق كل الناس، حتى اذا لم يجد كنزه شنق نفسه. وهذا الموقف من أبدع مواقف الرواية

الفصل الخامس: (وجود الكنز) يحضر رجال الشرطة فيسألون (الأسطا جاك) فيتهم الوكيل فاليز. ويدخل الوكيل فيشهر به أرباجون ويقول له: أريد أن تخبرني عن المكان الذي خطفتها منه، فيظن فاليز أنه يكلمه عن ايليز فيجيبه: إني لم أخطفها، ولا تزال عندك في منزلك. ويستمر هذا الخطأ بينهما طويلاً، ثم ينتهي بأن يبوح فاليز بحبه إيليز، ويدخل حينئذ أنسلم فيعرف ابنه فاليز وابنته مريان، وقد فقدهما منذ ست

عشرة سنة . ثم يقترح أن يتزوج فاليز من ايليز وكليانت من سريان ، فيقبل البخيل على شرط أن يردوا اليه كنزه ، وألا يغرم صداقاً الى ولديه ، وأن يفصلوا له ثوباً جديداً يوم الزفاف . وتنتهي الملهاة بقول ارباجون : ولنذهب لنرى كنزي العزيز ! هذه الملهاة متقنة محكمة ، فحركة العمل فيها سريعة قوية ، والأخلاق تبدو ظاهرة جلية ، والحوار طبيعي حي يملك الذهن ويسترعي الاسماع . ولكنهم يأخذون عليها أن الموضوع محزن وأن الحل ضعيف .

(النساء العالمات Les femmes savantes)

موضوعها تحذلق النساء وتركهن تدبير البيت ، واشتغالهن بالفلسفة والحساب والفلك . وأهم أشخاصها : كريزال وزوجته فيلامنت ، وابنتاه ارماند وهنريت ، وأخوه أريست وأخته بيليز وخادمته مارتين ، ثم كليتاندر حبيب هنريت وتريسوتين أحد الأذكياء ، وقاديوس أحد العلماء . وقد وقعت حوادثها في منزل كريزال بباريس .

الفصل الأول : هنريت ترغب في الزواج من كليتاندر ، ولكن أختها أرماند المتحذلقة تنصح لها أن ترفض هذا الزواج وتعكف على دراسة العلم فان ذلك أخلق بالمرأة اللبقة الذكية ، وتضرب لها المثل بأمها وخولها في الأندية والمجامع لجهلها ، فتتهمها هنريت بالغيرة وتناقشها في الموضوع بحضرة كليتاندر ، فيفصل في هذه المسألة بتصريحه أن الدكاترة من النساء لا يلائمن ذوقه ، وانه يفضل أن تكون المرأة مستنيرة فاهمة ، لا متشدقة عالمة . هو إذن يختار هنريت ، ولكنه لا يجرؤ على مكاشفة أمها فيلامنت بحبه ، لأنها مولعة بالدعي تريسوتين ، وهو يحتقره لادعائه وحذلقته . وتدخل بيليز فيستميلها اليه ويصارحها بأمره ، فتظن أن هذا الحب لها لا لغيرها .

الفصل الثاني : يأخذ على نفسه اريست أخو كريزال أن يخطب هنريت لكليتاندر ، فهو يقول لأخيه : إن كليتاندر فقير من المال ولكنه غني بالفضيلة . فيجيبه كريزال الى طلبه ، ثم يذهب الى زوجته يقنعها به . وفي تلك الساعة تطرد فيلامنت خادمتها مارتين ، لا لأنها كسرت وعاء أو سرقت إناء ، ولكن لأنها أهانت النحو والقواعد . ويضعف كريزال أمام امرأته فيقر هـذا الطرد ، ولكنه يسخط كل السخط على حمق النساء العالمات ، ويختصر شكواه في هذا البيت الجميل :

انني أعيش بالحساء الجيد ، لا بالانشاء البليغ !

فاذا ما كلمها في زواج هنريت من كليتاندر تأبى الأباء كله ، ويعلن اليه أنها ستزوجها من الشاعر الأديب تريسوتين . ويحرص أريست أخاه على المقاومة حتى يرفع عن كاهله نير هذا الظلم الفادح

الفصل الثالث : يقرأ تريسوتين للعالمات فيلامنت وأرمان وبيليز موشحا وأهجية من نظم الأميرة (أورانى) فيملك عليهن حواسهن وأنفاسهن ، إلا هنريت فتظل فارغة البال من كل ذلك . لم يكتب هؤلاء المتحذلقات شيئاً ، ولكنهن يردن أن يتعمقن في العلوم ، وينشئن أكاديمية لهن كأكاديمية الرجال . ويقبل المتفيهق قاديوس فيصفه تريسوتين للنسوة بأنه أعلم الفرنسيين باللغة اليونانية ، وأبرع الأدباء في صناعتي النظم والنثر . ويبادله المتحذلقات صنوف التحية وضروب التعظيم ، ثم ينتقد قاديوس موشح الأميرة (أورانى) ، دون أن يعلم أنه من نظم تريسوتين ، فيتخاصم الرجلان ويتسابان بأخس السباب . ويخرج قاديوس محتقاً يتحدى خصمه بقوله : (إني أدعوك لمباراتي في النظم والنثر واللاتينية واليونانية) . وتعزي فيلامنت صديقها تريسوتين عن هذه الفضيحة بأن تقدم إليه ابنتها هنريت لتكون له زوجة ، ويصر كريزال على أن يزوج ابنته من كليتاندر .

الفصل الرابع : تتلهب فيلامنت من الغيظ ، فتقسم أن تقطع زوجها عن عزمه ، وتنفذ إرادتها على هنريت ، ويأتي إليهما في تلك الساعة كتاب من قاديوس يتهم فيه تريسوتين بالنفاق والطمع في ثروة هنريت ، فلا يضعضع ذلك من عزم فيلامنت فتبعث في طلب المأذون (السجل) ؛ ولكن كريزال يصمم على رأيه فلا يتقهقر

الفصل الخامس : تسخر هنريت من تريسوتين ، وتريده على أن يرفض زواجها ، وأبوها يرغي ويزبد موغر الصدر على أمها ، ويقول إني أريد أن أعلمها كيف تعيش ، ولقد أرجعت مارتين إلى الخدمة على الرغم منها . وتدخل حينئذ فيلامنت وفي أثرها المأذون وتريسوتين ، ويصل الأمر في العقد إلى تسمية الزوج فتقول الأم : تريسوتين . ويقول الأب : كليتاندر . فتغضب فيلامنت وتنتصر الخادم مارتين لسيدها فلا تزداد السيدة إلا عتواً وإصراراً . ويوشك كريزال أن يسلم الأمر إلى امرأته لولا أن يدخل أخوه أريست ، فيخبرهم بالكذب أن أسرتهم قد أفلست لخسرانها قضية كبيرة . فلم يكد يسمع تريسوتين النبأ حتى يدير لهم ظهره ويخرج فيظهر نفاقه وأثرته ، وينتهي الأمر بانتصار كريزال وتحقيق أمل كليتاندر .

يتبع

(الزيات)